محاضرة 1 و2 بعنوان: "مفهوم التعليم المستمر"

إعداد
أ.د. ثناء بهاء الدين عبد الله

المحور الأول: تمهيد - لماذا التعليم المستمر؟

نعيش في عصر يتسم بالتغير المتسارع في جميع مجالات الحياة: الاجتماعيات، التكنولوجيا، الاقتصاد، وحتى في المجال المهني. فالمعارف والمعلومات التي اكتسبناها في مجالات الحياة المختلف قبل عقد من الزمن قد أصبحت اليوم قديمة وغير متطورة وقد تكون غير مجدية في الوقت الحالي.
في سياق الموضوع الحالي، لم يعد التعليم مجرد مرحلة تمتد من الطفولة إلى الشباب وتنتهي بالحصول على شهادة البكالوريوس أو الشهادات العليا، بل تحول إلى عملية مستمرة تمتد طوال الحياة.
إن مفهوم شعار "التعلم من المهد إلى اللحد" لم يعد شعاراً مثاليًا، بل أصبح ضرورة حتمية للبقاء والتنافس في سوق العمل، وللتكيف مع مستجدات الحياة اليومية، فضلاً عن تحقيق الذات وإثراء الشخصية.

المحور الثاني: تعريف التعليم المستمر(Lifelong Learning)

التعريف الإجرائي للتعليم المستمر: هو عملية مستمرة طوعية، وهادفة لتعزيز المعرفة، والمهارات، والكفاءات الشخصية والمهنية على مدى حياة الفرد. يتم ذلك من خلال وسائل متنوعة (رسمية، غير رسمية، غير نظامية) لتلبية الاحتياجات الشخصية، الاجتماعية، أو المهنية.

أبعاد التعليم المستمر:

1.التعلم الرسمي: في المؤسسات التعليمية المعترف بها (جامعات، معاهد) ويؤدي إلى الحصول على الشهادات.
2.التعلم غير الرسمي: أنشطة منظمة خارج إطار التعليم الرسمي (ورش عمل، دورات تدريبية، ندوات عبر الإنترنت) وقد لا تؤدي إلى الحصول على شهادات معترف بها رسميًا.
3.التعلم العَرَضي (غير النظامي): التعلم الذي يحدث بشكل تلقائي يوميًا من خلال التجارب الحياتية، التفاعلات الاجتماعية، العمل، أو حتى من خلال ممارسة الهوايات.

المحور الثالث: تعاريف بعض المنظرين للتعليم المستمر:

لقد أسهم العديد من المفكرين والمنظرين في بلورة مفهوم التعليم المستمر، ومن أبرزهم:

1.روبرت هافيجهرست(Robert J. Havighurst)

- نظريته: "مهام النمو:(Developmental Tasks) "

- رؤيته للتعليم المستمر: يرى هافيجهرست: أن حياة الإنسان عبارة عن سلسلة من المراحل النمائية (الطفولة، المراهقة، الرشد المبكر، منتصف العمر، الشيخوخة). ولكل مرحلة "مهام نمو" خاصة بها يجب إنجازها بنجاح للانتقال إلى المرحلة التالية. والتعلم المستمر هو الآلية التي تمكن الفرد من إتقان مهام كل مرحلة جديدة يواجهها، سواء كانت تعلم مهارة الأبوين في مرحلة الرشد المبكر، أو تعلم التكيف مع التقاعد في مرحلة الشيخوخة. التعليم هنا هو استجابة لتحديات مراحل الحياة المتغيرة.

·مصدر يمكن الرجوع إليه:

Havighurst, R. J.: (1972) Developmental tasks and education. New York: David McKay.

2.مالكوم نولز(Malcolm Knowles)

- نظريته: "علم تعلم الكبار" أو "أندرجوجي.(Andragogy) "

- رؤيته للتعليم المستمر: يميز نولز بين طريقة تعلم الأطفال (Pedagogy) وطريقة تعلم الكبار (Andragogy). يقدم ست افتراضات أساسية عن متعلم الكبار، منها:

- **الكبار بحاجة لمعرفة "لماذا" يجب أن يتعلموا شيءًا.**
- **مفهوم الذات لديهم يتحول من الاعتماد على الآخر إلى الاعتماد على النفس.**
- **يعتمدون على خبراتهم السابقة كمصدر غني للتعلم.**
- **استعدادهم للتعلم مرتبط بحاجاتهم الاجتماعية والمهنية.**
- **توجههم للتعلم يركز على حل المشكلات ويرتبط بحياتهم الواقعية.**
- **الدافع للتعلم من داخله (دافع ذاتي) أكثر من كونه خارجيًا. التعليم المستمر للكبار، وفقًا لنولز، يجب أن يُصمم بناء على هذه المبادئ، ليكون فعالًا وذو معنى.**

·مصدر يمكن الرجوع إليه:

Knowles, M. S., Holton III, E. F., & Swanson, R. A. :(2015) The adult learner: The definitive classic in adult education and human resource development (8th ed.). Routledge.

3.فيليب كاندي(Philip Candy)

- نظريته: ركز على مفهوم "المتعلم المستقل(The Autonomous Learner) "

- رؤيته للتعليم المستمر: يرى كاندي أن جوهر التعليم المستمر ليس فقط في توفير الفرص، بل في تطوير قدرة الفرد على تعلم نفسه بنفسه (Self-Directed Learning) ، وهو يربط بين التعليم المستمر والاستقلالية الشخصية، حيث يصبح الفرد قادرًا على:

- **تشخيص احتياجاته التعليمية.**
- **صياغة أهدافه التعليمية.**
- **تحديد الموارد البشرية والمادية للتعلم.**
- **اختيار وتنفيذ استراتيجيات التعلم المناسبة.**
- **تقييم نتائج التعلم التي حققها.**

·مصدر يمكن الرجوع إليه:

Candy, P. C. :(1991) Self-direction for lifelong learning: A comprehensive guide to theory and practice. Jossey-Bass.

4.بيتر جاريس(Peter Jarvis)

·نظريته: التعلم في المجتمع الحديث.

·رؤيته للتعليم المستمر: ينظر جاريس للتعليم المستمر من منظور اجتماعي أوسع. يرى أن طبيعة المجتمع الحديث السريع والتعددي تخلق "مواقف" جديدة باستمرار. عندما يواجه الفرد موقفًا لا تستطيع خبرته السابقة تفسيره أو التعامل معه، يشعر بما يسمى "الدهشة" أو "التعجب (disjuncture). "هذا الشعور هو المحرك الأساسي للتعلم. وبالتالي، فالتعلم المستمر هو استجابة حتمية وطبيعية للحياة في مجتمع دائم التغير، وهو عملية لسد الفجوة بين الخبرة السابقة والموقف الجديد.

مصدر يمكن الرجوع إليه:

Jarvis, P. :(2004) Adult education and lifelong learning: Theory and practice (3rd ed.). RoutledgeFalmer.

المحور الرابع: أهمية التعليم المستمر وأهدافه:

- على المستوى الفردي:

- **التطوير المهني وزيادة الفرص الوظيفية.**
- **زيادة الثقة بالنفس وتحقيق الذات.**
- **تكيف أفضل مع التغيرات التقنية والاجتماعية.**
- **حياة اجتماعية وأسرية أكثر ثراءً.**
- **الحفاظ على صحة عقلية نشطة (خاصة في الشيخوخة).**

- على المستوى المؤسسي والمجتمعي:

- **زيادة الإنتاجية والابتكار.**
- **اقتصاد معرفي أكثر قوة وقدرة تنافسية.**
- **مجتمع متلاحم ومتسامح وقادر على حل مشكلاته.**
- **تحقيق مبدأ المواطنة الفاعلة.**

الخاتمة:

لم يعد التعليم المستمر ترفاً فكرياً أو خياراً ثانوياً، بل هو ضرورة استراتيجية للفرد والمجتمع على حد سواء. إنه الاستثمار الوحيد الذي لا خسارة فيه. إن تحمل المسؤولية الفردية للتعلم، مع قيام الحكومات والمؤسسات بدورها في توفير البيئة الداعمة والفرص المناسبة، هو السبيل لبناء مجتمعات قادرة على مواجهة تحديات المستقبل.

توصيات:

1.تبني عقلية النمو (Growth Mindset) والقناعة بأن القدرات قابلة للتطوير دائمًا.
2.الاستفادة من التقنيات الحديثة ومنصات التعلم عبر الإنترنت مثل:.(MOOCs Coursera, Edx)
3.تطوير مهارات التعلم الذاتي وإدارة الوقت.
4.تشجيع المؤسسات على استثمار رأس المال البشري عبر برامج التدريب المستمر.

المصادر والمراجع:

1. Candy, P. C. (1991). Self-direction for lifelong learning: A comprehensive guide to theory and practice. Jossey-Bass.

2. Havighurst, R. J. (1972). Developmental tasks and education. New York: David McKay.

3. Jarvis, P. (2004). Adult education and lifelong learning: Theory and practice (3rd ed.). RoutledgeFalmer.

4. Knowles, M. S., Holton III, E. F., & Swanson, R. A. (2015). The adult learner: The definitive classic in adult education and human resource development (8th ed.). Routledge.

5. UNESCO. (2020). Embracing a culture of lifelong learning: A contribution to the Futures of Education initiative. UNESCO Institute for Lifelong Learning.

6. Field, J. (2006). Lifelong learning and the new educational order (2nd ed.). Trentham Books.